

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ
بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ
حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُشْسِ الْمَصِيرُ ۝﴾ [الجدالة: 8]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى⁽¹⁾،
وَذَكَرَ أَنَّهُمْ خَالَفُوا النَّهْيَ.

بيان حال الذين
نُهِوا عن النَّجْوَى

وَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾
الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي تَتَعَذَّرُ الْإِحَاطَةُ بِهِ دَلَّلَ
عَلَيْهِ بِأَمْرِ جُزْئِيٍّ وَاقِعٍ بَعْلَمَ الْمُحَدَّثِ عَنْهُ حَقِيقَةً⁽²⁾.

ذِكْرُ دَلِيلٍ جُزْئِيٍّ
عَلَى سَعَةِ عِلْمِ
اللَّهِ تَعَالَى

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نُهُوا﴾: (نهي) أصلٌ يدلُّ على غايةٍ وبلوغٍ، ومنه قولك: أنهيتُ
إليه الخبرَ: أي: بلغته إياه، ونهاية كلِّ شيءٍ: غايته، ويقال: نهَيْتُهُ عَنْ
كَذَا، فَإِذَا انْتَهَى فَذَلِكَ غَايَةُ مَا كَانَ وَآخِرُهُ⁽³⁾، وَالنَّهْيُ: الرَّجْرُ عَنْ
الشَّيْءِ، وَالانْتِهَاءُ: الْانْزِجَارُ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ⁽⁴⁾. والمراد هنا الرَّجْرُ عَنْ
النَّجْوَى وَمَنْعُهَا.

(2) ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: (عدو) أصلٌ يدلُّ على تجاوزٍ في الشَّيْءِ
وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ⁽⁵⁾، وَمِنْ ذَلِكَ يَقَالُ: عَدَا يَعْدُو عَدْوًا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 491 / 29.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 367 / 19.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).

(4) الزاغبي، المفردات، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نهي).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدو).

وَعُدُونَا، إِذَا تَجَاوَزَ مَا حُدَّ لَهُ⁽¹⁾، وَالْعُدُونُ أَيْضًا: الْإِخْلَالُ بِالْعَدَالَةِ فِي الْمَعَامِلَةِ⁽²⁾. وَالْمَرَادُ هُنَا: إِفْرَاطُهُمْ وَمَجَاوِزَتُهُمْ الْحَدَّ فِي قَصْدِ إِحْقَاقِ الشَّرِّ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَتَدْيِيرِ الْمَكَايِدِ لَهُمْ⁽³⁾.
 (3) ﴿وَمَعْصِيَتٍ﴾: (عصي) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى الْفُرْقَةِ⁽⁴⁾، وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ: شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، أَيْ: فَارَقَ جَمَاعَتَهُمْ⁽⁵⁾، وَيُقَالُ: عَصَى عَصِيَانًا، إِذَا خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ⁽⁶⁾. وَالْمَرَادُ هُنَا: مَخَالَفَتُهُمْ مَا يَأْمُرُهُم بِهِ النَّبِيُّ ﷺ⁽⁷⁾.

(4) ﴿حَيَّوْكَ﴾: أَصْلُ التَّحْيَةِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَهِيَ أَنْ يُقَالَ عَلَى سَبِيلِ الدُّعَاءِ: حَيَّاكَ اللَّهُ؛ أَيْ: جَعَلَ لَكَ حَيَاةً⁽⁸⁾، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي مُطْلَقِ الدُّعَاءِ وَالنَّشَاءِ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَلْفِظِ الْحَيَاةِ⁽⁹⁾، وَغُلِبَتْ عَلَى سَلَامِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ⁽¹⁰⁾، وَعَلَى الْكَلَامِ الَّذِي يُخَاطَبُ بِهِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْمَلَقَةِ⁽¹¹⁾. وَالْمَرَادُ بِتَحْيَتِهِمْ هُنَا: قَوْلُ الْيَهُودِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ: السَّلَامُ - أَيْ: الْمَوْتُ - عَلَيْكَ، يُوْهِمُونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، أَوْ هِيَ قَوْلُ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ: أَنْعِمَ صَبَاحًا، بَدَلَ التَّحْيَةِ بِالسَّلَامِ⁽¹²⁾.

(5) ﴿حَسْبُهُمْ﴾: (حسب) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى الْعَدِّ⁽¹³⁾، وَالْحِسَابُ: اسْتِعْمَالُ الْعَدَدِ، وَالْحَسِيبُ وَالْمُحَاسِبُ: مَنْ يُحَاسِبُكَ، وَ(حَسِبَ) يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْكِفَايَةِ⁽¹⁴⁾. وَالْمَرَادُ هُنَا: كَافِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ جَهَنَّمَ⁽¹⁵⁾.

(1) السَّيْمِينِ الْحَلَبِيِّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (عدو).

(2) الرَّاعِبِ، الْفُرْدَاتِ: (عدو).

(3) الْبَقَاعِي، نِظْمُ الدَّرَرِ: 368 / 19، وَالشُّوْكَانِي، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 224 / 5، وَابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30 / 28.

(4) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (عصي).

(5) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: (عصي).

(6) الرَّاعِبِ، الْفُرْدَاتِ، وَالزَّبِيدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (عصي).

(7) الشُّوْكَانِي، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 224 / 5، وَابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30 / 28.

(8) الرَّاعِبِ، الْفُرْدَاتِ: (حيي).

(9) السَّيْمِينِ الْحَلَبِيِّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (حيي)، وَابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 51 / 22.

(10) الزَّبِيدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (حيي).

(11) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 51 / 22.

(12) الْقَوْنُو، حَاشِيَةٌ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 503 / 18.

(13) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (حسب).

(14) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ، وَالرَّاعِبِ، الْفُرْدَاتِ، وَالسَّيْمِينِ الْحَلَبِيِّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (حسب).

(15) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 32 / 28.

(6) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: (صلي) أصل يدل على النار وما أشبهها من الحمى⁽¹⁾، والصلي: الإيقاد بالنار، يقال: صلي بالنار، واصطلى بها، وصليت الشاة: شويتها، فهي مصلية⁽²⁾. والمراد هنا: أنهم يذوقون جهنم ويقاسون حرها⁽³⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يُخاطَبُ اللهُ تعالى رسوله مُعْجَبًا لَهُ مِنْ حَالِ الْيَهُودِ وَالْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ التَّنَاجِي دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنِ النَّجْوَى الَّتِي تُفْضِي إِلَى الْإِثْمِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَيُصِرُّونَ عَلَيْهِ، وَيَتَنَاجَوْنَ بِمَا هُوَ إِثْمٌ وَعُدْوَانٌ عَلَى غَيْرِهِمْ وَمُخَالَفَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا جَاؤُوا الرَّسُولَ حَيَّوْهُ بِغَيْرِ تَحِيَّةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: السَّأَمَ عَلَيْكَ، يَرِيدُونَ الْمَوْتَ، أَوْ يَقُولُونَ لَهُ: أَنْعَمْ صَبَاحًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَيَعْدِلُونَ عَنِ السَّلَامِ الَّذِي هُوَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يَقُولُونَ فَمَا بَيْنَهُمْ اسْتِخْفَافًا وَتَكْذِيبًا: لَوْ كَانَ رَسُولًا لَعَذَّبَنَا اللَّهُ بِسَبَبِ مَا نَقُولُ لَهُ. ثُمَّ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ جَهَنَّمَ مَأْلٌ هَؤُلَاءِ، وَهِيَ كَافِيَةٌ جَدًّا لِعَذَابِهِمْ⁽⁴⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

عِلَّةُ فَضْلِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الْآيَةِ:

فُضِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ اسْتِثْنَاءً ابْتِدَائِيًّا؛ لِإِفَادَةِ غَرَضٍ جَدِيدٍ، وَهُوَ الْكَلَامُ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْمَنَافِقِينَ عَلَى نَجْوَاهُمْ⁽⁵⁾.

تَعْيِينُ الْمُخَاطَبِ فِي جُمْلَةِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

الْمُخَاطَبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ لِلرَّسُولِ ﷺ؛ إِذْ هُوَ الْمُكَلَّفُ الْأَوَّلُ، وَمُبْلَغُ الْوَحْيِ إِلَى أُمَّتِهِ.

سوء عاقبة
من يصِرُّ على
التناجي بما
يُخَالِفُ الشَّرْعَ

بيان استمرار
المنافقين على
نجواهم

النبي ﷺ هو
المبْلَغُ لِلْوَحْيِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلي).

(2) الزَّاعِبُ، للفردات: (صلي).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32 / 28.

(4) الراعي، تفسير الراعي: 12 / 28.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 28.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 219 / 8، والآلوسي، روح المعاني: 220 / 14.

افتِضاحُ أمرِ
الْمُنافِقِينَ
الْمُصِرِّينَ على
النَّجْوَى

حالُ المنافقين
الْمُصِرِّينَ على
النَّجْوَى عَجِيبٌ

أَهْمِيَّةُ التَّنْبِيهِ
على إصرارِ
الْمُنافِقِينَ على
النَّجْوَى

تَنْزِيلُ الْعُلُومِ
مَنْزِلَةً لِلْمَرْئِي
الْحَسَّاسِ
الْمُشَاهِدِ

سُفُولُ رُتْبَةٍ مَنْ
يُخَالِفُ الشَّرْعَ

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ لِكُلِّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ الرُّؤْيَا الْمَذْكُورَةُ،
وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى افْتِضَاحِ أَمْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى
النَّجْوَى، بَحِيثٌ يَصُحُّ أَنْ يُعْجَبَ مِنْ حَالِهِمْ كُلِّ أَحَدٍ.

بَلَاغَةُ الاسْتِفْهَامِ فِي «أَلَمْ تَرَ»:

الاستفهامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى»
لِتَعْجِيبِ الْمُخَاطَبِ مِنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى النَّجْوَى مَعَ
أَنَّهُمْ نُهُوا عَنْهَا⁽¹⁾. وَفِيهِ تَوْيِيخٌ لَهُمْ حِينَ يَسْمَعُونَهُ⁽²⁾.

سِرُّ تَكَرُّرِ «أَلَمْ تَرَ»:

كُرِّرَ «أَلَمْ تَرَ» فِي قَوْلِهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» مَعَ
تَقْدِيمِهِ فِي قَوْلِهِ: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»؛
لِلتَّكْذِيبِ عَلَى اسْتِقْلَالِ مَا بَعْدَهُ وَأَهْمِيَّةِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ حَرِيٌّ بِأَنْ
يَعْلَمَ عِلْمًا مُسْتَقِلًّا، وَأَنَّهُ لَيْسَ تَابِعًا لغيرِهِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالرُّؤْيَا:

الرُّؤْيَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى»
بَصْرِيَّةٌ، بِقَرِينَةٍ تَعْدِيَّتِهَا بِالْحَرْفِ «إِلَى»⁽³⁾. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ عِلْمِيَّةً،
وَالْمَعْنَى: أَلَمْ تَعْلَمْ عِلْمًا هُوَ كَالرُّؤْيَا⁽⁴⁾، وَفِي ذَلِكَ تَنْزِيلٌ لِلْمَعْلُومِ مَنْزِلَةً
الْمَرْئِي الْحَسَّاسِ الْمُشَاهِدِ.

دَلَالَةُ «إِلَى» فِي «إِلَى الَّذِينَ نُهُوا»:

التَّعْبِيرُ بِحَرْفِ الْجَرِّ «إِلَى» الدَّالُّ عَلَى انْتِهَاءِ الْغَايَةِ الْمَجَازِيَّةِ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى
سُفُولِ رُتْبَةِ الْمَرْئِي الْمُشَاهِدِ بِإِبْعَادِهِ عَنِ أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا⁽⁵⁾.

(1) أَبُو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 219/8، والقنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 502/18.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/28.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 502/18، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/28.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 367/19.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 367/19.

نكتة التعبير بالموصول «الَّذِينَ»:

جاءَ بالموصولِ في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى»؛ للتنبيه على مدار التعجب بما في حيز الصلة، وهو نهْيهم عن النجوى واستمرارهم عليها، ولاستهجان التصريح بأسمائهم.

دلالة التعبير بالفعل «نُهُوا» ماضياً مبنياً للمفعول:

عُبرَ بصيغة الماضي في قول الباري ﷻ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى»؛ للدلالة على تحقق النهي عن النجوى، وأنه قد بلغهم، وسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، فلا عذرَ لهم في استمرارهم على نجواهم.

وأوْثِرَتْ صيغة البناء للمفعول؛ للإشعار بالعموم، وأنَّ كلَّ مَنْ رآهم في نجواهم زَجَرَهُم، وفي ذلك تنبيهٌ على أنَّ العاقل إذا زَجَرَ عن شيءٍ انزَجَرَ عنه وتركه بصرفِ النظرِ عن الزاجر، حتَّى يتبيَّن له أنَّ الفعلَ مأمونُ العاقبة⁽¹⁾.

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ البناءُ للمفعول لتعني الناهي، وهو الشَّارِعُ، وفي ذلك تفخيمٌ لشأنه ببيان أنَّ النهي لا يُتَصَوَّرُ مِنْ سِوَاهُ؛ لأنَّه مصدرُ الأحكام.

دلالة «عَنِ» في «نُهُوا عَنِ النَّجْوَى»، وفي «لِمَا نُهُوا عَنْهُ»:

«عَنِ» في قول الحق ﷻ: «نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» في الموضعين للمجاوزة المجازية، فيفيد الكلام وجوب الابتعاد عن النجوى، ووجوب مجاوزتها لما يَرْضِي اللهُ ﷻ؛ لأنها مُخَالِفَةٌ للشَّرع؛ إذ هي مُتَعَلِّقَةٌ النَّهْيِ⁽²⁾.

دلالة تعريف «النَّجْوَى»:

تعريف النَّجْوَى في قوله ﷻ: «نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» للعهد؛ لأنَّ المرادَ بها النَّجْوَى المقتربة بالإثم، والنَّجْوَى الَّتِي تَحْزُنُ الَّذِينَ آمَنُوا، والقرينةُ على ذلك سياقُ الكلامِ الآتي⁽³⁾.

مَنَاطُ التَّعْجِيبِ
الاسْتِمْرَارُ عَلَى
الْمُخَالَفَةِ بَعْدَ
النَّهْيِ

لَا عُذْرَ لِمَنْ
يُخَالِفُ نَهْيَ
الشَّارِعِ عَنْ
النَّجْوَى الْمُحَرَّمَةِ

الْعَاقِلُ يَحْزَنُ
مِنَ الْوُقُوعِ فِي
الْإِثْمِ

الشَّارِعُ هُوَ الْوَقُوعُ
النَّاهِي

النَّجْوَى الْمُحَرَّمَةُ
مُتَعَلِّقُ النَّهْيِ

النَّجْوَى النَّهْيُ
عَنْهَا هِيَ
الْمُصْحَبَةُ بِالْإِثْمِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 367/19.

(2) قباوة، الفصل في شرح الجلالين، ص: 1923.

(3) الخفاجي، غناية القاضي: 170/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/28.

الترخيص في
النجوى التي
لا إثم فيها
بعد التهي عن
الجنس

الرجوع إلى
النجوى بعد
التهي عنها
أعظم من
ابتدائها

العود إلى
ما نهى عنه
العظيم
مستبعد

إصرار المنافقين
على ما هو شنيع
ومستهجن

ويجوز أن يكون التعريف للجنس، وذلك بأن يكون النهي في أول الأمر عامًّا لكل نجوى بمرأى من الناس؛ سدًّا للذريعة، فلما فشا الإسلام وأمن الناس زال هذا الحكم لزوال سببه، فُرخص في النجوى التي تكون للأمر بالمعروف والصّدقة وإصلاح ذات البين⁽¹⁾.

سِرُّ العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ في ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾ في قوله عزّ من قائل: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ للتراخي الرتبي، والغرض الدلالة على أن عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها أعظم من ابتدائهم إيّاها؛ لأنّ ابتداءها كان إثمًا؛ لما اشتملت عليه نجواهم من نوايا سيئة نحو النبي ﷺ والمسلمين، وأما عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها فقد زادوا بها تمرّدًا على النبي ﷺ ومُشاقّةً للمسلمين⁽²⁾.

أو لأنّ العود إلى ما نهى عنه العظيم ﷺ مُستبعد غاية الاستبعاد، فعبرَ بأداة التراخي⁽³⁾، فتكون ﴿ثُمَّ﴾ دالةً على معنى الاستبعاد.

سِرُّ التعبير بالمضارع في ﴿يَعُودُونَ﴾:

جاء بصيغة المضارع في قوله تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾؛ للدلالة على استمرار العود وتجديده⁽⁴⁾؛ أي: يكرّرون العود بحيث يريدون بذلك العصيان وقلة الاكتران بالتهي؛ فإنهم لو عادوا إلى النجوى مرةً أو مرتين فقط لاحتَمَلَ حالُّهم أنّهم نسوا⁽⁵⁾، ولاستحضار صورة العود العجيبة⁽⁶⁾؛ لتعجب السامعين منها وحثّهم على استيجانها واستيفائها.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 28.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 28.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 367 / 19.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 367 / 19.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 28.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 219 / 8، والآلوسي، روح المعاني: 220 / 14.

معنى اللام في ﴿لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ بمعنى (إلى)، ومعناها انتهاء الغاية المكانية⁽¹⁾ على سبيل المجاز، وأصل اللام هو التعليل، فيراد في فعل العود هنا معنى يناسبه حرف التعليل، والتقدير: ثم يريدون العود لأجل ما نُهُوا عنه⁽²⁾، وفي ذلك تبيح لحالهم؛ إذ جعلوا ارتكاب ما نُهُوا عنه غاية لهم يسعون إليها.

ارتكاب النهي
عنه غاية
التناجيين
المذكورين

دلالة التعبير بالموصل (ما):

قوله تعالى: ﴿لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ معناه: للنجوى، وقد عدل عن الإتيان بضمير النجوى إلى الموصول وصلته؛ لما تؤذن به الصلة من التعليل لما بعدها من الوعيد بقوله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ الآية، مع ما في الصلة أيضاً من التسجيل على سَفَههم⁽³⁾، حيث لم يعدوا عُدَّةً لما يَتَوَقَّع من جهة الناهي من الضرر⁽⁴⁾.

الإصرار على
ارتكاب النهي
عنه سفة وسبب
للعذاب

بلادة عطف ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ عطف على قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ داخل في حكمه⁽⁵⁾، وهو بمنزلة التفسير والبيان للعود المذكور، وفيه مزيد تبيح لصنيعهم بذكر مخالفتهم بإجمال ثم بتفصيل.

زيادة التشنيع
بذكر المخالفة
إجمالاً وتفصيلاً

دلالة صيغة المضارع في قوله سبحانه: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾:

عبر بصيغة المضارع في قوله ﷻ: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾؛ للدلالة على أنهم يرتكبون التناجى المحرم على

من صريحت
نفسه بالتناجى
المحرم وأظن
عليه

(1) قباوة، للفضل في شرح الجلالين، ص: 1923.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 28، 18 / 28.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 28.

(4) البقاعي، نظم الدرر، ص: 368 - 367 / 19.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 219 / 8، والألوسي، روح المعاني: 220 / 14.

سبيل الاستمرار والتَّجَدُّد⁽¹⁾؛ لأنَّ نفوسهم قد ضَرِيَتْ به، ولتصوير التَّاجِي المذكورِ بصورته العجيبة التي تَسْتَدْعِي التَّعْجُبَ والإنكارَ.

توجيه القراءات في ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾:

تَعَدُّدُ الْقِرَاءَاتِ
وَالْعَنَى وَاحِدٌ

قرأ حمزة ورويس: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾⁽²⁾.
أما القراءة الأولى فهي من (انتجى) على وزن (افتعل)، وأما الثانية فهي من (تاجى) على وزن (تفاعل).
والمُتَنَجِّعُ لمعاني صيغ الزوائد في كتب الصرف يجد أنَّ هاتين الصيغتين تدلان على معنى واحد من حيث أصل الاشتقاق، إلا أنَّ بينهما فرقاً دقيقاً، وهو أنَّ صيغة (افتعل) من معانيها المطاوعة، مثل: أحرقتُه فاحترق، وقربتُه فاقترب، أما صيغة (تفاعل) فمعناها الأول هو المشاركة بين عدَّة أطراف.

ومن هنا نفهم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾ فيه معنى المطاوعة، بحيث يوسوسُ أحدُ الحاضرين لِمَن حوله بالنَّجوى، فيطاولونه فيها ويتنجون معه، أو أنَّ الشَّيْطَانَ هو الَّذِي يوسوسُ لهم بالنَّجوى فيطاولونه بذلك، ففيها دلالة على مطاوعة المتناجين بعضهم لبعض، وكأنَّ أحدهم هو رأسُ الفتنة فيه، والباقون تبع له.
ونفهم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾ فيه معنى المُفَاعَلة والمشاركة، فكلُّهم في النَّجوى مشتركون من دون معرفة المُتَسَبِّب فيها، والله تعالى أعلم.

معنى الباء في ﴿بِالْإِثْمِ﴾:

الباء في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ﴾ للملابسة؛ أي: يتناجون ملابسين الإثم والعدوان ومعصية الرسول، وهذه الملابس متفاوتة؛ فملابسة الإثم والعدوان ملابسُ المتناجى

لِلْمُتَنَاجِيْنَ
لِلْمَذْكُورِيْنَ
مُلَابِسَاتٌ لِلْإِثْمِ
وَالْعُدَاوَانِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 368.

(2) ابن الجزري، النشر: 2 / 385.

به لفعل المناجين، وملابسة معصية الرسول ﷺ ملابسة المقارنة للفعل؛ لأنَّ نجواهم بعد أن نهاهم عنها النبي ﷺ معصية⁽¹⁾. ويجوز أن تكون الباء للاستعانة⁽²⁾؛ بمعنى أنهم تناجوا مستعينين بالإثم والعدوان.

نكتة التعبير بالإثم:

عُبرَ بالإثم في قول الحق ﷻ: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾؛ لدلالته على أنهم في تناجيهم متلبسون بشيء يجرُّ عليهم العذاب وسوء العاقبة، وهذا الشيء هو الكذب والظلم ونحوهما⁽³⁾.

دلالة تعريف الإثم والعدوان:

يَحْتَمِلُ الإِثْمُ وَالْعُدْوَانُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وجهين:

أحدهما: أنَّهما مخالفتهم للرُّسل في النهي عن النَّجْوَى؛ لأنَّ الإِقْدَامَ عَلَى الْمُنْهَى يُوجِبُ الإِثْمَ وَالْعُدْوَانَ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الإِقْدَامُ لِأَجْلِ إِظْهَارِ التَّمَرُّدِ.

والثاني: أنَّهما السُّرُّ الَّذِي كَانَ يَجْرِي بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا مَكْرٌ وَكِدٌّ بِالْمُسْلِمِينَ وَإِمَّا شَيْءٌ فِيهِ مَسَاءَةٌ لَهُمْ⁽⁴⁾. وأيًا ما كَانَ فَتَعْرِيفُهُمَا لِلْعَهْدِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفُهُمَا لِلْجَنَسِ، وَالْمُرَادُ جَنَسُ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَيَشْمَلَانِ مَا ذُكِرَ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي ذَمِّهِمْ.

نكتة عطف العدوان على الإثم:

لَمَّا ذُكِرَ الْمُطْلَقُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ اتَّبَعَ بِذِكْرِ الْمُقَيَّدِ بِالشَّدَةِ قِيلَ: ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾⁽⁵⁾، وَذَلِكَ أَنَّ الْعُدْوَانَ إِثْمٌ عَظِيمٌ شَدِيدٌ.

تناجي المنافقين
مَجْلَبَةٌ لِلْعَذَابِ
وسوء العاقبة

غاية المتناجين
المذكورين
الإضرار بالإسلام
وأهله

تهالك المتناجين
في الكيد
للمسلمين
والإفراط في
قصد أذاهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 30 - 31.

(2) قباوة، الفصل في تفسير الجلالين، ص: 1923.

(3) الشوكاني، فتح القدير: 5 / 224.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29 / 491.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 368.

وَعَبَّرَ بلفظ العدوان؛ لدلالته على إفراطهم ومجاوزتهم الحدَّ في قصد إلحاق الشرِّ بالمؤمنين، وتدبير المكائد لهم⁽¹⁾.

نكتة عطف ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾:

لَمَّا كَانَ كُلُّ مِنَ الإثم والعدوان شرًّا في نفسه أُتْبِعَ بالإشارة إلى أَنَّ الشَّيْءَ يَتَغَيَّرُ وصفه بالنسبة إلى مَنْ يُفْعَلُ معه، فَيَكْبُرُ بِكِبَرِ المعصِي، فقليل: ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾⁽²⁾، وفي ذلك نوعٌ مِنَ التَّرْقِي في بيان غلوهم في العصيان.

بلاغة التعبير بالمعصية:

عَبَّرَ بلفظ المعصية لدلالتها على مخالفتهم ما يأمرهم به النَّبِيُّ ﷺ، وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ أَنَّهُ نَهَاَهُمْ عَنِ النَّجْوَى وَهُمْ يَعُودُونَ لَهَا⁽³⁾.

سرُّ الإضافة والتعبير بالرسالة في ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾:

في إضافة المعصية إلى الرسول مع التعبير عن النَّبِيِّ ﷺ بِعُنْوَانِ الرِّسَالَةِ في قول الحقِّ ﷻ: ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ تقبيحٌ لِأَمْرِ هَذِهِ المعصية واستعظامٌ لَهَا⁽⁴⁾؛ لِأَنَّهَا مَعْصِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تَجَبُّ طَاعَتُهُ وَمَتَابَعَتُهُ، وَعِظْمُ المعصية يَكُونُ عَلَى قَدَرِ عِظْمِ الْمَعْصِي.

بلاغة الالتفات في الآية:

الظَّاهِرُ أَنَّ يُقَالُ: (ومعصيتك)؛ إِذِ السِّيَاقُ لِلخُطَابِ، وَإِنَّمَا عُدِلَ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾؛ لِإِفَادَةِ مَا سَبَقَ مِنْ نَكْتَةِ التَّعْبِيرِ بِعُنْوَانِ الرِّسَالَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ عَادَ السِّيَاقُ إِلَى الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾⁽⁵⁾، وَذَلِكَ تَفْنُّ مشهورٌ يُسَمَّى الْإِلْتِفَاتَ، وَفِيهِ تَجْدِيدٌ لِنَشَاطِ السَّامِعِ. وإظهارٌ لقبح

(1) البقاعي، نظم الدرر: 368 / 19، والشوكاني، فتح القدير: 224 / 5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 28.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 368 / 19.

(3) الشوكاني، فتح القدير: 224 / 5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 28.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 219 / 8، والقاسمي، محاسن التأويل: 169 / 9.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 368 / 19.

النافقون يترقون
في العصيان
وببالغون فيه

مخالفة المنافقين
أمر النبي ﷺ

عظم المعصية
على قدر عظم
المعصية

تفخيم شأن
النبي ﷺ بعدم
ذكر المعصية في
خطابه

فعلهم؛ إذ يعصون مَرَسَلًا لا أيَّ شخص؛ ذلك أنَّ معصيته معصية للمُرسل ﷺ.

يضاف إلى ذلك أنَّ في الالتفاتِ هنا تفخيماً وتعظيماً لشأن النبيِّ الكريم ﷺ على عادةِ القرآنِ في إعلاءِ قدرِ نبيِّه وتعظيمه إذا ذُكرَ فيه؛ إذ لو قيل: (ومعصيتك) لربَّما أدَّى إلى إيذاءِ مشاعرِ النبيِّ ﷺ ومساءته، فعَدَلَ عن الخطابِ في ذكرِ المعصية، ثمَّ رَجَعَ إليه في ذكرِ المجيءِ والتَّحيَّة؛ إذ لا يُجمَعُ بين كافِ الخطابِ الشَّريف وبينَ لفظِ المعصية.

غرضُ تعريفِ «الرَّسُولِ»:

تعريفُ «الرَّسُولِ» في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُه: «وَمَعْصَيْتِ الرَّسُولِ» للعهد؛ إذ المرادُ به رسولٌ مخصوصٌ معهودٌ معروفٌ، وهو نبيُّنا محمدٌ ﷺ، وفي ذلك تسفيهٌ لهم وتقبيحٌ لفعالهم؛ لأنَّهم يعرفون الرَّسُولَ حقَّ المعرفةِ ويوقنون بصدقِهِ، ومع ذلك يَعصونه، وهذا من أشنعِ الأفعالِ وأقبحِ الخِصالِ.

بلاغةٌ عطفِ «وَإِذَا جَاءُوكَ»:

مناسبةٌ عطفِ قوله تعالى: «وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ» على ما قبله أنَّه ﷺ بعدَ أنْ ذَكَرَ حالَهُم عندَ اختلاهِ بعضهم ببعضِ ذَكَرَ حالَ نِيَّاتِهِم الخبيثةِ عندَ الحضورِ في مجلسِ النبيِّ ﷺ (1)، وفي ذلك بيانٌ لحالهم البغيضِ في الجمعِ بينَ كيدهم ومكرهم في بُعْدِهِم عن رسولِ ﷺ وفي حضرتهِ ﷺ.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ(إِذَا) دُونَ (إِنْ):

أوتِّرَتْ (إِذَا) دُونَ (إِنْ) في قولِ الباري ﷻ: «وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ»؛ لأنَّ (إِذَا) تُستعملُ في الأمرِ المقطوعِ به كثيرَ الحصولِ، وهو جَلِيٌّ في مجيءِ المنافقينَ إلى النبيِّ ﷺ كذلك؛ لأنَّهم

عصيانُ المنافقينَ
لنبيِّنا محمدٍ
ﷺ مَعَ يقينهم
بصدقِهِ

جَمَعَ المنافقونَ
الخُبْنَ في
الحُضورِ وفي
الغَيْبةِ

جَرَضَ المنافقينَ
على إظهارِ
إسلامِهِم
والإطّاعِ على
أحوالِ المسلمينَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 31/28.

كانوا يُكثِرُونَ التَّردُّدَ إلى مجالسِهِ لإظهارِ صدقِ إيمانِهِم، والاطِّلاعِ على أحوالِ المسلمين وشؤونِهِم.

نكتة صيغة الماضي في ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ﴾:

جاء بصيغة الماضي في قول الباري ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ لأنَّ (إذا) لما كانت للأمر المقطوع به غلبَ لفظُ الماضي معها؛ لأنَّه أقربُّ للقطع بالنظرِ إلى لفظه وإنَّ كان المعنى على الاستقبال؛ لأنَّ (إذا) الشرطيَّة تَقَلُّبُ الماضي إلى المستقبل.

نكتة التعبير بالتحية:

المراد بالتحية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قول اليهود للنبي ﷺ عند السَّلام عليه: السَّامُ - أي: الموت - عليك، يوهمون أنَّهم يقولون: السَّلامُ عليك، أو هي قول بعض المنافقين: أنعم صباحاً بدل التحية بالسَّلام، فالتعبير بالتحية للمشكلة⁽¹⁾. ولا يخفى أنَّ الأوَّل مبنًى على القول بأنَّ الآية تتحدَّث عن اليهود، والثَّاني مبنًى على القول بأنَّها تتحدَّث عن طائفةٍ من المنافقين.

معنى الباء في ﴿حَيَّوكَ بِمَا﴾:

الباء المتصلة بـ(ما) في قوله تعالى ذكره: ﴿حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ لتعدية الفعل إلى مفعوله الثَّاني، فيفيدُ الكلام أنَّ ما يخالفُ تحية الله هو ما تعلَّقت به تحيَّتهم. ويجوز أن تكون الباء للاستعانة⁽²⁾؛ بمعنى: أنَّهم يحيون الرَّسول ﷺ مُستعينين بغير تحية الله تعالى.

دلالة التعبير بالموصول وصلته في قوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ﴾:

عبرَ بالموصول في قوله ﷻ: ﴿حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ لأنَّه لفظ عامٌّ يشملُ كلَّ تحيةٍ تخالفُ تحية الله⁽³⁾، فيفيدُ الكلام أنَّ كلَّ

الجيء والتَّحيَّة
مقطوع
بحصولهما

إطلاق التَّحيَّة
على كلام
المذكورين
مشكلة

ما يخالف تحية
الله مُتعلِّق
تحيتهم للنبي
ﷺ

كلُّ ما يخالف
تحية الإسلام
مذموم

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 503/18.

(2) قباوة، للفصل في تفسير الجلالين، ص: 1923.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 368/19، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 31/28.

ما خالف تحية الإسلام - وهي: السَّلامُ عليكم - مذمومٌ مخالفٌ للشرع؛ لأنَّه خالٍ عمَّا في تحية الإسلام مِنْ بَثِّ الطُّمَأْنِينَةِ والخيرِ بينَ النَّاسِ، ثُمَّ مِنْهُ ما هو مكروهٌ، وَمِنْهُ ما هو محرَّمٌ كقولِ اليهودِ لعنَهم اللهُ: السَّامُ عليك.

بلاغةٌ إيثاري لفظِ الجلالة:

اختيرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيره في قولِ الباري ﷻ: ﴿حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ لدلالته على صفاتِ الجلالِ والكمالِ التي بها يكونُ التشريعُ الكاملُ، الَّذي لا ينبغي أنْ يُخَالَفَ، والمعنى: حيَّوك بما لم يُحيِّك به المَلِكُ الأعلى الَّذي لا أمرَ لأحدٍ معه، فَمَنْ تجاوزَ ما شرَّعه فقد عرَّضَ نفسه لِسَخَطِهِ⁽¹⁾.

نكتةٌ عطفٍ ﴿وَيَقُولُونَ﴾:

وجهٌ عطفِ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ على ما قبله: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ المشهورُ عنهم أَنَّهُمْ يُخْفُونَ جاهدين تحييتهم للنبي ﷺ بغيرِ ما شرَّعَ اللهُ، ويُعلنون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لا يطلعُ عليه، وإنِ اطَّلَعَ عليه لم يَقْدِرْ على أنْ ينتقمَ منهم عبْرَ سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية⁽²⁾.

غرضُ التعبيرِ بالمضارعِ في (يقولون):

جاء بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ للتنبية على أَنَّهُمْ مجاهرون فيما بينهم بهذا القولِ مستمرَّونَ عليه، مُجدِّدونَ له، مواظبونَ عليه⁽³⁾، وقد غرَّهم إِمْلَاءُ اللهِ تعالى لهم حين لم يُعَجِّلْ بالعقوبة، فظنُّوا أَنَّهُ لا تَبِعَةَ عليهم.

دلالةُ ﴿فِي﴾ من قوله تعالى: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾:

يدلُّ التعبيرُ بحرفِ الظرفيةِ المكانيةِ في قوله تعالى شأنه:

شرع الحكيم
العظيم لا
ينبغي مخالفته

فضَّح ما تُكنُّه
صدورُ المنافقين

اغترارُ المنافقين
بإملاءِ الله لهم

نُفوسُ المنافقين
موطَّنُ القبائح

(1) البقاعي، نظم الدرر: 368 / 19 - 369.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 369 / 19.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 369 / 19.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ على أن نفوسهم هي موضع قول هذا القول الشنيع، وفي ذلك تقييح لهم ولنفسهم الممتلئة بغضا وحقدا على النبي ﷺ وعلى المسلمين.

دلالة التعبير بالأنفس:

التعبير بالأنفس في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ للدلالة على أنهم يقولون هذا القول فيما بينهم، من غير أن يُطلعوا عليه أحداً⁽¹⁾، وفي ذلك تنبيه على غاية حرصهم على عدم افتضاح أمرهم.

غرض جمع الأنفس:

جُمِعَتِ الأنفسُ في قول الباري ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ لأنَّ القائلين بهذا القول جماعة من المنافقين، وهم من قلة الشأن والتأثير بحيث عبّر عن أنفسهم بجمع القلة (أفعل).

دلالة ﴿لَوْلَا﴾ في ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾:

﴿لَوْلَا﴾ في قول الباري ﷻ: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ للتخصيص؛ أي: هلاً يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بذلك لو كان محمد نبياً⁽²⁾، فتكون ﴿لَوْلَا﴾ مستعملة كناية عن جحد نبوة النبي ﷺ؛ أي: لو كان نبياً لغضب الله علينا، ولعذبنا الآن بسبب قولنا له. وهذا خاطر من خواطر أهل الضلالة المتأصلة فيهم، وهي توهمهم أن شأن الله تعالى كشأن البشر في الإسراع في الانتقام⁽³⁾.

دلالة صيغة المضارع في ﴿يُعَذِّبُنَا﴾:

جاء بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾؛ للتنبيه على أنهم يطلبون على الاستمرار والتجدد أن يُعَذِّبَهُمُ اللهُ، وفي ذلك ما لا يخفى من الإشارة إلى شدة تكذيبهم وعنادهم.

جزء المنافقين
على كتمان
أمرهم

القول المذكور
صادر عن
جماعة من
المنافقين

استعجال
المشركين
بالعذاب تكذيب
للنبي

شدة تكذيب
للمنافقين
وعنادهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 369/19، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 219/8.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 219/8.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32/28.

سرُّ إِيثارِ التَّعْذِيبِ دُونَ غَيْرِهِ:

أَوْثَرَ الْعَذَابُ عَلَى غَيْرِهِ كَالْحَسَابِ وَالْعِقَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾: لَأَنَّ الْعَذَابَ هُوَ الْإِجَاعُ الشَّدِيدُ⁽¹⁾، ففِي التَّعْبِيرِ بِهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَفَرَطَ غُلُوَّهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ يَطْلُبُونَ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْذِيبِ لِلْمُخِيرِ بِهِ، وَلَوْ كَانُوا يَوْقِنُونَ بِهَذَا الْعَذَابِ لَمَا طَلَبُوهُ؛ إِذِ الْعَاقِلُ لَا يَطْلُبُ مَا فِيهِ مَضَرَّتُهُ.

طَلَبُ الْعِقَابِ
الشَّدِيدِ تَكْذِيبَ
لِلْمُخِيرِ بِهِ

بِلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ:

عُبِّرَ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ فِي قَوْلِ الْبَارِي ﷻ: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾؛ لِدَلَالَتِهِ عَلَى صِفَاتِ الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ، وَمِنْهَا الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ، ففِي إِيْثَارِهِ إِيْمَاءٌ إِلَى شِدَّةِ تَكْذِيبِهِمْ وَاسْتَهْتَارِهِمْ، وَالْمَعْنَى: لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى زَعْمِ مَنْ حَذَرْنَا مِنْ عَذَابِهِ وَنَقَمْتِهِ⁽²⁾.

اسْتِهَانَةٌ
لِلْمُنَافِقِينَ بِغَضَبِ
الْعَظِيمِ وَنَقَمَتِهِ

مَعْنَى الْبَاءِ فِي ﴿بِمَا نَقُولُ﴾:

الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ لِلْسَّبَبِيَّةِ، وَالْمَعْنَى: هَلَّا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا؛ أَيْ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَعَذَّبَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ مَا نَقُولُ⁽³⁾.

قَوْلُ الْمُنَافِقِينَ
سَبَبُ التَّعْذِيبِ

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَوْصُولِ فِي ﴿بِمَا نَقُولُ﴾:

جِيءَ بِالْمَوْصُولِ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلٍّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾؛ لِلتَّوَصُّلِ بِمَا فِي حَيْزِ الصَّلَةِ - وَهُوَ الْقَوْلُ - إِلَى ذِكْرِ عَلَّةِ التَّعْذِيبِ، وَهِيَ قَوْلُهُمُ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّحِيَّةِ بِغَيْرِ تَحِيَّةِ اللَّهِ⁽⁴⁾، أَوْ عَنْ كَلَامِهِمُ الَّذِي يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مِنْ ذَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْوِ ذَلِكَ⁽⁵⁾.

كُلُّ قَوْلٍ يُفْضِي
إِلَى الْإِثْمِ
وَالْعَذَابِ دَاخِلٌ
فِي السَّبَبِيَّةِ

(1) الزَّغَبُ، الْفَرْدَاتُ: (عَذَب).

(2) الْبِقَاعِي، نِظْمُ الدَّرَرِ: 369 / 19.

(3) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْعَالِي: 221 / 14.

(4) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْعَالِي: 221 / 14.

(5) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 32 / 28.

وفي الموصول أيضًا عمومٌ يشمل كل قولٍ يُفْضي بصاحبه إلى الإثم والعذاب.

نكتة التعبير بالفعل ﴿نَقُولُ﴾ مضارعًا:

جاء بفعل القول مضارعًا في قوله تعالى: ﴿بِمَا نَقُولُ﴾؛ للدلالة على أن ما يقولونه في التناجي المحرّم أو في التحية بغير السلام أمرٌ مستمرٌّ متجدّدٌ منهم، وهم مواظبون عليه وإن كان مخالفًا للشرع⁽¹⁾، وذلك علامة على توغّلهم في الشرّ والفساد.

علة فصل ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عما قبله؛ لأنّه كلامٌ مستأنفٌ جوابًا من الله تعالى لهم عن ظنّهم أنّه لا يُعَذِّبُهُمْ⁽²⁾، والمعنى: لم نُعَذِّبْهُمْ في الدنيا؛ لأنّ جهنّمَ حَسْبُهُمْ عذابًا، فننتقمُ منهم بالعقابِ الشّدِيدِ⁽³⁾، فبينَ الجُمْلَتَيْنِ شبه كمالِ الاتصال.

نكتة التعبير بالاسميّة في ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾:

جاء بالجملة الاسميّة في قول الحقّ ﷻ: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ للدلالة على الثبات والاستقرار، وأنّ مضمونَ هذه الجملة حقيقة ثابتة، لا تتبدّل ولا تتغيّر.

سرّ إظهار لفظ ﴿جَهَنَّمُ﴾ دون غيره:

اختيرت ﴿جَهَنَّمُ﴾ دون غيرها من أسماء النار في قوله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ للدلالة على أنّها تلقاهم بالتّجهمِ والعُبُوسَةِ والفظَاظَةِ⁽⁴⁾، وفي ذلك مزيدٌ تقبيحٍ لسوءِ مآلهم وعاقبتهم.

سرّ التعبير بالفعل ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ مادّةً وصيغةً:

يدلُّ الفعل ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾

تَوَغَّلَ الْمُنَافِقِينَ
فِي الشَّرِّ وَالْفُسَادِ

تَرَكَ التَّعْذِيبَ فِي
الدُّنْيَا لَا يَعْنِي
تَرْكُهُ فِي الْآخِرَةِ

تَعْذِيبُ الْمُنَافِقِينَ
حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ

النَّارُ تَلْقَى
أَصْحَابَهَا
بِالتَّجْهِمِ

الْمُنَافِقُونَ
يُقَاسُونَ حَرَّ النَّارِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 369/19.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 369/19، والخفاجي، غناية القاضي: 169/8.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 503/18.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 369/19.

يَصْلَوْنَهَا ﴿١﴾ على أَنَّ النَّارَ تُصِيبُهُمْ بِحَرِّهَا بحيثُ يَذوقُونَهَا وَيُحَسِّنُونَهَا
إحساسًا بليغًا، ويُقاسُونَ حرَّها، وأصلُ الكلام: يَصْلَوْنَ بها، فَضُمْنَ
﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ معنى: يَذوقُونَهَا أو يُحَسِّنُونَهَا^(١).

وعُبرَ عن الفعل بالمضارع؛ للدلالة على استمرارِ مُقاساتِهِم
للعذابِ وتجددِها، أي: يُقاسُونَ عذابَها دائِمًا^(٢). وفي هذه الصيغة
أيضًا تصويرٌ لحالِهِم وهم يُقاسُونَ حرَّ النَّارِ وعذابِها الشَّدِيدَ.

المنافقون في
عذابٍ مقيمٍ

دلالة الفاء في ﴿فَبُئْسَ﴾:

الفاءُ في قوله ﷻ: ﴿فَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ للتفريع، فتفيدُ تفرُّعَ ذمِّ
جهنَّمَ عن الوعيد^(٣)، وذلك زيادةٌ في عذابِهِم ونكالِهِم؛ لأنَّ ذمَّ
موضعِ الإقامة يزيِدُ غمَّ المُقيمِ، لا سيَّما وهو خالدٌ فيه. ويجوز أن
تكون الفاءُ فصيحة، جيء بها للاستئناف والسَّببية^(٤)، وما بعدها
هو نتيجةٌ أو مُسبَّبٌ لما ذُكر من سوءِ نتائجِهِم، وفُحشِ تحيَّتِهِم،
وإنكارِهِم العذابِ.

ذمُّ جهنَّمَ بعدَ
ذكرِ تعذيبِ
أصحابِها

وجه التعبير ب(بئس):

(بئس) فعلٌ ماضٍ جامدٌ لإنشاء الذَّمِّ، وهو مِن أبلغِ أفاضِ الذَّمِّ
وصبغِهِ، والتَّعبيرُ به يُناسِبُ سوءَ أفعالِهِم، وحجمَ أذاهِم، وقبحَ إصرارِهِم.

الذَّمُّ حقيقٌ
بالمُنافقين

نكتة التعبير بالمصير:

عُبرَ بالمصيرِ في قوله ﷻ: ﴿فَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ لأنَّه بمعنى المَرَجِعِ
والمآلِ^(٥)، فيفيدُ الكلامُ سوءَ عاقبةِ هؤلاءِ المنافقينِ.

مآلُ المنافقينِ
قبيحٌ مذمومٌ

دلالة تعريف ﴿الْمَصِيرُ﴾:

لأنَّ التَّعريفَ في ﴿الْمَصِيرُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿فَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ عَوَضٌ

سوءُ حالٍ مَنْ
صارَ إلى جهنَّمَ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32 / 28.

(٢) البقاعي، نظم الدرر: 370 / 19.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32 / 28.

(٤) قباوة، للفصل في تفسير الجلالين، ص: 1923.

(٥) السَّوْكَاني، فتح القدير: 224 / 5.

عن المضاف إليه، أي: فبئس مصيرهم هي⁽¹⁾، على القول بأن لام التعريف تنوب عن الضمير المضاف إليه، وهو قول الكوفيين وبعض البصريين، وجرى عليه المتأخرون⁽²⁾. ويجوز أن يكون التعريف للجنس، فيفيد العموم؛ أي: فبئس المصير هي لمن صار إليها⁽³⁾.

❁ الفرق المغمضة:

العود والرجوع:

اعتیاد نفوسهم
على النجوى
المخالفة للشرع

العود: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه⁽⁴⁾. والرجوع: العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً⁽⁵⁾. والحاصل: أن الرجوع يلحظ فيه العود إلى ما كان منه البدء من دون التفات للانصراف عنه أولاً، والعود يلحظ فيه الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، والفرق - كما يظهر - دقيق جداً.

وفي العود أيضاً ملاحظة الاعتیاد على الشيء ونزوع النفس إليه، وكأن العائد يرجع بعد الانصراف إلى ما تألفه نفسه وتزعج إليه.

وقد عبّر بالعود هنا - وهو عود مجازي - للدلالة على الرجوع إلى النجوى المخالفة للشرع بعد تركها⁽⁶⁾، وللتنبية على أن نفوسهم قد اعتادت عليها، فلا تكاد تتركها إلا وقد رجعت إليها.

المجيء والإتيان:

إتيانهم إلى
النبي ﷺ فيه
مشقة عليهم

الإتيان: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أتى، وأتاوى⁽⁷⁾، والمجيء أعم⁽⁸⁾. والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 370 / 19، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 337 / 17.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: 77.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 337 / 17.

(4) الرأغب، المفردات: (عود).

(5) الرأغب، المفردات: (رجع).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16 / 28.

(7) الرأغب، المفردات: (أتى).

(8) الرأغب، المفردات: (جاء).

يكنّ منه الحصول، والمجيء يقالُ اعتبارًا بالحصول⁽¹⁾، فتكونُ دلالةُ (جاءَ) على المعنى المرادِ أقوى من (أتى)⁽²⁾، وعلى هذا يكونُ الإتيانُ أعمّ من المجيء من هذه الناحية. وقد عبّرَ بالمجيء هنا؛ للدلالة على أنّ إتيانهم إليه حاصلٌ، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى أنّ فيه ثقلًا عليهم، وأنّه ليسَ سهلَ الحصولِ.

(1) الزاغب، المفردات: (جاء).

(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 50.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-66-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"